معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 19/ العدد 1 (جوان 2024): ص.ص: 484-499

تعليم وتعلّم اللّغات الأجنبية قديما وحديثا

Teaching and learning foreign languages between ancient and modern methods

كريمة أيت إحدادن *

كلية الآداب واللغات، جامعة البويرة، البويرة 10000، الجزائر،
k.aitihadadene@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2023/05/03؛ تاريخ القبول: 2024/06/01؛ تاريخ النشر: 2024/06/15

ملخص:

يعالج هذا البحث أهمية تعليم وتعلّم اللغات في العصر الراهن حيث يرغب كل مثقف في تعلّم أكثر من لغة واحدة بل يتعلم بعضهم عدة لغات أجنبية، ولهذا الغرض يلجأ بعضهم إلى الطرائق القديمة لتعلّمها كأخذ دورات ويستعين بعضهم بأساليب أخرى فيقومون بتنزيل التطبيقات على هواتفهم الذكية لتسريع تعلمها، سأسعى من خلال هذه الدراسة إلى تقديم مفهوم اللغة الأجنبية وأهمية تعليمها وتعلمها في ظل التكنولوجيات المتطورة بالتركيز على طرائق تعليم اللغات القديمة منها والحديثة، مع الإشارة إلى أهمية التطبيقات والبرامج الالكترونية المختصة في تعليم وتعلّم اللغات الأجنبية.

الكلمات المفتاحية: تعليم اللغات؛ اللغة الأم؛ اللغة الأجنبية؛ التطبيقات الالكترونية.

Abstract:

Through this study I will give the concept of foreign language and the importance of teaching and learning it, in the light of advanced technologies by focusing on methods of teaching it, from ancient to modern methods, I will show the importance of electronic applications and programs specialized in teaching and learning foreign languages.

Keywords: language learning; mother language; foreign language; Electronic applications.

* المؤلف المرسل.

المقدمة:

ازداد الاهتمام باللغات الأجنبية واشتدت الضرورة لتعلّمها في عصرنا الحالي لأسباب كثيرة فالاهتمام والرغبة في الاطلاع على المعارف والاختراعات الجديدة للدّول المتقدمة يفرض هذه الرغبة وخاصة بعد التطور التكنولوجي الذي أحدث ثورة في كل مجالات الحياة، كما أن سرعة تدفق شبكات الأنترنت وتطور وسائل الاتصال حوّل العالم إلى قرية صغيرة كل هذه الأسباب شجّعت الأشخاص على السعي لفهم الآخرين ذلك أنّ الاحتكاك المتزايد بثقافات الشعوب الأخرى يتطلب فهم لغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم لأنّ أيّ نظام لغوي هو تعبير عن نظام إدراك جماعة من الجماعات لبيئتها ولنفسها ومن غير الممكن فهم حضارة الآخر فهما صحيحا دون التمكن من لسانها.

لذا فاعتبارا مما تكتسيه تعليمية اللغات من أهمية فقد أولت سائر الدّول اهتماما لهذا الأمر فعملت على توفير وإنشاء معاهد حكومية لتعليم اللّغات الأجنبية كما سعت بعض المدارس الخاصة للاستثمار في هذا المجال مطلقة عروضا مغرية لاستقطاب المتعلمين يبلغ بعضها درجة تنظيم إقامات لغوية (language stay) أو رحلات لغوية نحو البلدان التي تستعمل اللغة المراد تعلمها استعمالا يوميا في كل مجالات الحياة المختلفة، لغرض تطبيق برامج الانغماس اللغوي (Linguistic immersion)، ناهيك عن استخدام أساليب حديثة أخرى لتعليمها وتعلّمها.

سنسعى كم خلال بحثنا تقديم مفهوم اللغة الأجنبية والإجابة عن بعض الأسئلة من قبيل: ما السن الأنسب لتعليم اللغات الأجنبية وتعلمها؟ وما هي أحدث الأساليب المؤدية إلى تسريع تعليمها وتعلّمها؟

1- مفهوم اللغة الأجنبية:

يقابل مصطلح اللغة الأجنبية في الإنجليزية (Foreign language) وفي اللغة الفرنسية (Langue étrangère) أما تعريفها في اصطلاح علماء اللسانيات التطبيقية "فاللغة الأجنبية هي كلّ لغة ليست بلغة الأمّ "[1] وعلى هذا فكل لغة مختلفة عن لغة الأم (language mother) في نظامها على المستوى المفرداتي والمستوى لتركيبي والمستوى المعجمي فهي لغة أجنبية

(1) -Jean Pierre Cuq, Dictionnaire de Didactique de Français langue étrangère et seconde, CLE international, Paris, 2003, p 150.

بالنسبة للمتعلم، ويطلق على لغة الأم مصطلح اللغة الأولى لأنها أول لغة يسمعها الطفل داخل المنزل أو في محيطه الأسري، أما اللغة الأجنبية تأتي في مراتب أخرى لأن المتعلم يتعلمها داخل المدرسة في سن متأخرة مقارنة بتعلمه للغة الأولى ويطلق عليها في اختصاص اللسانيات التطبيقية مصطلح اللغة الثانية (language second).

وفي رأينا يوجد اختلاف بين مفهوم مصطلح اللغة الأجنبية ومصطلح اللغة الثانية ذلك أنّ المصطلح الأول "يعود على تعلّم لغة غير أصلية في بيئة اللغة الأصلية للمتعلّمين على سبيل المثال ناطقون بالفرنسية يتعلمون الإنجليزية في فرنسا، أو ناطقون بالإسبانية يتعلمون الفرنسية في إسبانيا أو الأرجنتين أو المكسيك وهذا يتم غالبا داخل الفصول الدّراسية، أما مصطلح اكتساب اللغة الثانية فيشير إلى تعلّم لغة غير أصلية في بيئة تتكلم تلك اللغة بشكل أصلي على سبيل المثال ناطقون بالألمانية يتعلمون اليابانية في اليابان ، فالتعلّم في بيئة اللغة الثانية يتم في ظل إمكانية تواصل كبير مع الناطقين الأصليين لتلك اللغة الثانية، بينما لا يحدث هذا عادة في حالة التّعلم في بيئة اللغة الأجنبية .

هذا وتجدر الإشارة إلى أنّ اهتمام الغرب بموضوع تعليم وتعلّم اللغات الأجنبية كان بدافع عسكري «بسبب ظروف معينة أهمها ظروف الحاجة للغات الأجنبية خلال الحرب العالمية الثانية»[1]فقد ظهرت تلك الحاجة إلى تعلّم اللغات وخاصة من طرف جنود القوات العسكرية الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والاتحاد السوفياتي سابقا وغيرها من الدول، لما له من الفائدة العسكرية المتمثلة في فهم واستيعاب الخطط الحربية للعدو، وكذلك فهم لغة الشعوب الضعيفة التي أصبحت لاحقا بعد الحرب العالمية الأولى مستعمرات، أما بالنسبة للعرب فإنّ الاهتمام باللغات ليس أمرا جديدا لأنهم أدركوا أهمية تعلّمها منذ القدم، فقد روي عن العرب قديما أنها تقول : "**من تعلّم لغة قوم أمن شرّهم**" وهذا الكلام يبرز أهمية تعلّم لغات الأمم المجاورة لرقعة الدولة الإسلامية، وقد بلغنا أنّ الرسول عليه الصلاة والسلام كان يشترط على أَسْرى الغزوات من الأعاجم أن يُعلّم الواحد منهم عشرة من المسلمين.

وتواصل اهتمام العرب بتعلّم اللغات وخاصة في العصر العبّاسي(132هـ-656هـ) وذلك

(1) -نايف خرما، علي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلّمها، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص 32.

بعد ازدهار حركة الترجمة في عهد المأمون (170هـ- 218هـ)، والذي وسّع من أنشطة بيت الحكمة فترتّب عن ذلك إدخال الكثير من العلوم إلى اللغة العربية كالطب والفلك والفلسفة من خلال ترجمة العديد من الكتب من الفارسية واليونانية إلى اللغة العربية، ككتاب المَجَسْطِي للبطليوسي، وكتاب الجمهورية لأفلاطون، وكليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة وغيرها من الكتب التي تزخر بها المكتبات العربية اليوم، فلولا اهتمام العرب بتعلّم اللغات الأجنبية آنذاك كالفارسية والآرامية واليونانية لما وصلت إلينا تلك الكتب والعلوم منذ ذلك الوقت المبكر، وإن كان لم تصلنا مؤلفات تبيّن لنا طرائق تعلّم تلك اللغات التي يُترجم منها إلى اللغة العربية، ولكن أغلب الظن أن الخليفة المأمون كان يبعث المترجمين إلى الدّول المجاورة للاحتكاك بهم قترة من الزمن لأخذ اللغة عنهم، كأن يعيش المترجم زمنا في بلاد الفرس حتى يتوصل لفهم لسانهم وقراءة مؤلفاتهم في الأدب والفلسفة والطب مثلا لينقلها بعد ذلك إلى اللغة الهدف (العربية).

2- السن الأنسب لتعليم وتعلّم اللغات الأجنبية:

يعتبر تحديد السّن الأنسب لتعليم اللّغات الأجنبية في المؤسسات التعليمية من بين القرارات التي تضعها السياسات اللغوية المتبعة في كل دولة ويعدّ أمرا في غاية الصّعوبة لما له من النتائج الوخيمة على تعلّم اللغة الأولى أو اللغة الأم، لأن تعلّم اللغة الثانية قبل اكتمال نمو اللغة الأولى عند الطفل يؤثر على عملية تطور وتسريع اكتسابها، وبهذا الصدد يقول ابن خلدون "إذا تقدّمت في اللّسان ملكة العجمة صار مقصرا في اللغة العربية، وذلك أنّ الملكة إذا تقدّمت في صناعة بمحل فقلّ أن يُجيد صاحبها ملكة في صناعة أخرى...وأن الناشئ من الجيل اختلط عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه فاستحدث ملكة وكانت ناقصة...."[(1)] ، فعندما يتعلّم الطفل لغة أجنبية في مرحلة مبكرة أي قبل اكتمال اكتسابه للغته الأم، فإنه سيكون بصدد اكتساب نظام لغة أخرى يختلف اختلافا كليا عن نظام لغته الأم ممّا يعرضه لظواهر التداخل اللغوي في سن مبكرة، وقد تطرّق الباحثون الغربيون لقضية المرحلة العمرية المناسبة لتعلّم اللغة الثانية فحدّد كلّ من "ميجيل سيجوان" "Miguel Siguan" و"وليام فرانسيس مكاي" "William F-Mackey" المرحلة الأنسب لتعليم وتعلّم اللغة الأجنبية وهي "تعلّمها جنبا إلى جنب مع اللغة الأولى، تعلّمها بعد اكتساب اللغة الأولى، لكن

(1)- عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط1، دار الغد الجديد للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص528.

بطريقة تلقائية غير منظّمة، تعلّمها بعد اكتساب اللغة الأولى لكن بواسطة دراسة مقصودة منظّمة."[1] ومنه نقول أن تعليمها يمكن أن يكون بطريقة تلقائية في مراحل مبكرة في المحيط الأسري أو بطريقة مدروسة بالاستناد إلى معلم وبرامج وكتب داخل مؤسسات تعليمية.

فقبل اتخاذ قرار تعليم اللغة الأجنبية في سن السابعة أو الثامنة أو التاسعة من عمر الطفل يجب أن يكون ذلك بالاعتماد على نتائج الدّراسات والبحوث التي تجرى في حقل تعليمية اللغات (La didactique des langues)، وفي الجزائر مثلا تقرّ المنظومة التربوية بالشّروع في تعليم اللغة الأجنبية الأولى (اللغة الفرنسية) في سن الثامنة ويعادله السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، أما اللغة الأجنبية الثانية (اللغة الإنجليزية) فقد كان يتم تأخير برمجة تعليمها إلى سن الحادية عشر من عمر المتعلم وبعد الإصلاحات التعليمية الجديدة لسنة 2022 تم استدراك الفاصل الكبير في مدة تعليم اللغة الأجنبية الأولى والثانية تم استدراك الأمر لتتم عملية برمجة تعليم اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية جنب إلى جنب مع اللغة الفرنسية أي السنة الثالثة ابتدائي، وهذا منذ الدخول المدرسي للسنة 2022-2023 ، وهذه القرارات الجديدة القاضية ببرمجة تعليم اللغات الأجنبية في سن مبكرة تعكس اهتمام المختصين بهذه القضية ولم يتعلق الأمر بالوزارة فقط بل ثبت أنّ اهتمام الأولياء بتحصيل أولادهم في اللغات واضحُ فنجدهم يسعون لتسجيلهم في مؤسسات تعليمية خاصة لتعليم اللغات مقابل مبالغ مالية مرتفعة وخاصة في فترات العطل المدرسية.

وفي الحقيقة إنّ مسألة تأخير تعليم اللغات الأجنبية حتى سن التاسعة أو العاشرة يؤثر بشكل كبير على إتقانها لأنّ "مرونة الدّماغ قبل سن البلوغ هي التي تُمكّن الطفل من اكتساب اللغة وفيما بعد ذلك يصبح من الصعب على المتعلم إتقان النظام اللغوي وخاصة النظام الصوتي"[2]، لأن جهاز النطق عند الطفل في هذه السن يكون قد اكتمل في نموه "فعملية تنسيق **عضلات الكلام** (coordination of speech muscles) التي تعني أنه بالنظر لمئات العضلات المستخدمة في الكلام (الحلق، والحنجرة والفم والشفتين واللسان وغير ذلك من العضلات) فلابدّ من بذل جهد هائل للتحكم في هذه العضلات حتى يمكن تحقيق الطلاقة الشفوية في اللغة، واكتمال نمو هذا التحكم يتم في حوالي سن الخامسة، ومعنى هذا أنّ

(1)- وليم مكاي وميجيل سيجوان، التعليم وثنائية اللغة، تر: إبراهيم بن حمد القعيد ومحمد عاطف مجاهد، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1994، ص 95.

(2) - نايف خرما وعلي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلّمها، ص 74.

إتقان الكلام في اللغة الأجنبية إذا ما تمّ تعلّمها بعد هذه السن يُصبح أمرا صعبا"[1] وهو ما سمّاه العلماء بالفترة الحرجة (critical period) من عمر الطفل وهي بين السابعة وسن البلوغ وفيها يتم "تعلم بعض المهارات بحيث يكون استعداد الانسان أكبر من أيّ وقت آخر لتعلّمها إذا تمّ تعريضه للمنبّه المناسب، وأنّ التعلم يصبح صعبا وأحيانا مستحيلا إذا مرّت هذه الفترة الحرجة دون تعلّم المهارة المطلوبة"[2] إذ تزيد قدرة الاكتساب اللغوي السليم والسريع مع صغر السن وتتناقص تلك القدرة مع التقدم في العمر، لذا فالبدء بتعليم اللغات الأجنبية في مرحلة مبكرة هو المعمول به في كل الدول التي تعي أهمية تكوين أفرادها على التفتح على الثقافات الأخرى.

4-طرائق تعليم اللغات الأجنبية من القديمة إلى الحديثة:

تعدّدت طرائق تعليم اللغات الأجنبية واختلفت من فترة زمنية إلى أخرى تبعا لاختلاف الوسائل المتاحة لتعليمها فقديما لم يكن هناك غير الكتب التعليمية فاعتمد المعلم والمتعلم عليها بشكل كبير، أما بعد ظهور المسجلات الصوتية والأجهزة السمعية البصرية ظهرت معها أساليب جديدة مستغلة تلك الأجهزة في تعليمها وتعلّمها، وبعد التطور التكنولوجي الحاصل في السنوات الأخيرة فقد حصلت قفزة نوعية نقلت الإنسان إلى عصر السرعة بفضل تكنولوجيا الإعلام والاتصال وظهور الحواسيب والهواتف الذكية وشبكات الأنترنت ذات التدفق العالي فنتج عن ذلك كله تطوير قطاعات كثيرة بما في ذلك قطاع التعليم فظهر ما يسمى بالتعلم الإلكتروني الذي يمكن المتعلم من الحصول على المحتوى التعليمي واكتساب معارف كثيرة وجديدة في مختلف الاختصاصات بكبسة زر.

4-1-تعليم اللغات الأجنبية بالاعتماد على الطرائق القديمة:

إنّ تعليم اللغة الأجنبية لا يتم بنفس الأساليب المعتمدة في تعليم اللغة الأولى لما فيه من الاختلاف بين أليات اكتساب اللغة الأولى وتعلم اللغة الثانية إذ "يمتاز تعلم اللغة الأصلية عن تعلم اللغة الأجنبية بأنه يتم في ظروف طبيعية، فالطفل يتعلّم هذه اللغة في سن مبكرة كجزء لا يتجزأ من نموه ونضوجه المعرفي والعقلي والاجتماعي والسيكولوجي كوسيلة للتفاعل

(1) - المرجع نفسه، ص 73.

(2) - خالد بن عبد العزيز الدامغ، السن الأنسب لتدريس اللغات الأجنبية في التعليم الحكومي، مجلة جامعة دمشق، المجلّد 27، العدد الأول والثاني، ص 762.

مع مجتمعه....والنتيجة الحتمية لذلك هي أن هذا الطفل يتقن في نهاية الأمر لغته أيما إتقان، ولكن الأمر مختلف تماما بالنسبة لتعلم اللغة الأجنبية فدارس اللغة الأجنبية يكون قد تعلم لغته الأصلية أولا، ولذلك فإن اللغة الأجنبية ليست جزءا أساسيا من عملية نموه ونضجه."[1] ولما أدرك المهتمون الفرق بين العملتين بحثوا في أنجع الطرق التي تساعد الراغب في تعلّم اللغات الأجنبية فاقترحوا قديما طريقة **القواعد والترجمة** أو ما يُسمى بالمنهج التقليدي في تدريس اللغات، وفيه يتم تعليم اللغات الأجنبية عن طريق تعريف المتعلم بالقواعد النحوية (grammar) ليطلب منه حفظها، وبعد ذلك يُطلب منه تطبيقها على استخدام اللغة الأجنبية المقرّر تعليمها وتعلّمها في القراءة والكتابة، وأكثر التّدريبات شيوعا خاصة **بالترجمة** من اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم، لأنّ هذا المنهج يهدف أساسا إلى إكساب المتعلمين مهارتي القراءة والكتابة دون المهارات اللغوية كالاستماع والمحادثة، ويعتمد في المقام الأول على الذاكرة حيث يُكلّف المتعلمون بحفظ واستظهار القواعد بالإضافة إلى قوائم من الكلمات مستقلة عن التركيب.

وُجّهت انتقادات كثيرة للمنهج التقليدي كونه يضع المدرس في الأساس الأول دون الأخذ في الحسبان الطرف الثاني في العملية التعليمية التعلّمية أي المتعلّم، فقد كان المدرّس يعتمد الإلقاء والتلقين، بينما ظلّ المتعلّم سلبيّاً بعيداً عن المبادرة والإبداع أما عملية تقييم تتم بالنظر إلى ما يحفظه المتعلّم من قواعد ومفردات بغض النظر عن قدرته في استعمالها، وعلى هذا فطريقة القواعد والترجمة "لا تساعد المتعلمين على التّواصل واستعمال اللغة مع أبناء اللغة لأنها تغفل مهارتي التحدث والاستماع، وأنها تقصر وظيفة اللغة على مهارتي القراءة والكتابة مما لا يساعد في تنمية الكفايات اللغوية في المهارات الأخرى وقد يقود ذلك إلى أن يفقد الطالب الدافعية في تعلم اللغة "[2] وإلى هذا ذهب عبد المجيد عيساني قائلا:" ينبغي أن نعلّم التلميذ اللغة دون التطرق إلى النحو الشكلي، لأن المطلوب هو اللغة التي ينبغي أن **يتواصل** بها كهدف رئيس، وليس المطلوب هو معرفة نحوها وحفظه، وتقتضي تعليمية اللغة اعتماد **الممارسة المستمرة والتكرار**، فليس ثمة فرق بين لغة وأخرى، فالممارسة الفعلية للغة هي وحدها طريق الاكتساب الحقيقي للغة، فينبغي أن تكون المنهجية الاستماع

(1) - نايف خرما وعلي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلّمها، ص 75.

(2) - رشدي طعيمة، تعليم العربية لغير الناطقين بها، مناهجه وأساليبه، دط، منشورات الإسيسكو، الرباط، 1990، ص 76.

أولا، والتكلم ثانيا، ثم القراءة والكتابة بعدهما لأنّ النمو الطبيعي للغة هو أن نصغي، ثمّ نقلّد ثم نقرأ أو نكتب"[1] كما أنه قد يستطيع المتعلم تذكّر العديد من الكلمات الأجنبية، لكن ذلك التّذكر لا يجعله قادرا على فهم الجمل وسياقاتها الدلالية لأنّ اللغة ليست عملية استرجاع لمجموعة من الكلمات، أو لمجموعة من القواعد النحوية المُدركة، بل إنّ الفهم والاستعمال الشفوي والكتابي سلسلة من العمليات المترابطة.

ونتيجة لهذه الانتقادات الموجّهة للمنهج التقليدي (طريقة القواعد والترجمة) ظهرت طرائق أخرى **كالطريقة المباشرة** وكما هو واضح من التسمية "تعتمد هذه الطريقة على تعليم اللغات مباشرة دون وساطة لغة أخرى، فالمدرس إذا أراد أن يُدرّس مفردات مثل كرسي، وباب، ونافذة، ما عليه إلاّ أن يُعيّن هذه الأشياء في الفصل وأمام الطلاب، أما بالنسبة للأشياء والمفاهيم التي لا يوجد لها مثيل في الفصل فقد استعان المُدرسون في شرحها بالصورة والرسوم والعينات والنماذج"[2]، ومن مزايا هذه الطريقة التعامل المباشر مع اللغة الهدف تعاملا ماديا دون الاستعانة باللغة المحكية من جانب المعلم أو من جانب المتعلم.

تواصل الاهتمام بطرائق تعليم اللغات وخاصة بعد التطوّر الذي طرأ على الوسائل التعليمية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وخاصة بعد ظهور الوسائل السمعية كالراديو وأشرطة الكاسيت التي اعتمد عليها المعلّم والمتعلّم بكثرة في العملية التعليمية التّعلّمية وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية مما أسفر عن ظهور **الطريقة السمعية الشفوية** التي ركّزت على الجانب المنطوق ، وبعد تطوير هذه الطريقة باستخدام تقنية الصورة في أفلام الفيديو كاسيت وأفلام الفيديو المسجلة على القرص المدمج أصبح الاسم المعتمد لهذه الطريقة هو الطريقة الشفويّة السمعيّة البصريّة في تعليم اللغة.

ومن مميزات هذه الطرائق حسب رشدي طعيمة "أنها تولي الاتصال بين الناس الأهمية الكبرى في تعليم لغات بعضهم البعض و لاشك أن الاهتمام بمهارتي الاستماع والكلام في تعليم اللغة الثانية أمر يتفق مع ظروف المجتمع الإنساني المعاصر، وأن الترتيب الذي يتم به تدريس المهارات اللغوية الأربع: استماع، فكلام، فقراءة، فكتابة، ترتيب يتفق مع الطريقة

(1) -عبد المجيد عيساني، نظريات التعلم وتطبيقاتها في علوم اللغة، ط1، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2012، 97.
(2) -محمود كامل الناقة، تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، دط، منشورات جامعة أم القرى، السعودية، 1995، ص 76.

التي يتعلم بها الإنسان لغته الأولى."[1] هذا وتستعين هذه الطرائق بثقافات وعادات اللغات المراد تعليمها من خلال تقديم مظاهر هذه الثقافات عبر الأفلام والأشرطة المسموعة أو المرئية الصامتة منها والمتحركة، وبذلك تعتمد على الجانب الشفوي لتمكين المتعلم من استخدام اللغة وتوظيفها في وقت قصير.

هذا وقد تزايد الاهتمام بتطوير طرائق تعليم اللغات فاستفادت اللسانيات التطبيقية من النظريّة الوظيفيّة في اللسانيات التي تعدّ الهدف من تعلّم اللغة هو امتلاك القدرة على القيام بالوظيفة الأساس لها وهي عمليّة الاتّصال بين أفراد المجتمع ومنه برزت **الطريقة التواصلية** في حقل تعليم اللغات منطلقةً من أهميّة البعد الاستعمالي والاتّصالي بدلاً من أهميّة البعد النحويّ وتستند هذه الطريقة إلى جملة من المبادئ اللغويّة النظريّة التي ترى أنّ وظيفة اللغة تتجلّى في ثلاثة جوانب هي[2]:

- جانب وظيفيّ يرى في اللغة وسيلة لنجاح الفرد في تلبية حاجاته المختلفة.
- جانب اجتماعيّ وثقافيّ يرى في اللغة وسيلة للاتّصال مع الآخرين.
- جانب انفعالي يرى في اللغة وسيلة للتفاعل لإقامة علاقات عاطفيّة مع الآخرين.

ومنه نقول إنّ المنهج التواصلي ركّز على الجانب الوظيفي للغة فالمتعلم مطالبٌ بتحقيق التّواصل كونه مرسلا أو مستقبلا مركزا على مضمون الرسالة لا على شكلها فالأخطاء النحوية أو النطقية خطوة من خطوات التّعلم حسب هذا المنهج.

2-4-تعليم وتعلّم اللغات الأجنبية باستخدام تقنيات تكنولوجيا الإعلام والاتصال:

يمكن تعريف تكنولوجيا المعلومات والاتصال (Information and Communications Technologie) واختصارها (ICT) بأنها استخدام جميع التقنيات المتطورة مثل الأنترنت والأجهزة الإلكترونية المختلفة كالحاسوب والهواتف النقالة واللوحات الإلكترونية، وأجهزة التخزين المختلفة وغيرها من المعدات المتطورة في مجال الإعلام الآلي لغرض إنشاء ومعالجة وتخزين وتبادل جميع أشكال البيانات الإلكترونية، ويعرفها أهل الاختصاص: "بأنها قطاع أعمال يعتمد على التعامل مع الحوسبة، ويتضمن ذلك الأجهزة

(1) - رشدي طعيمة، تعليم العربية بين العلم والفن، دط، دار الكر العربي، القاهرة، 2001، ص 280.

(2) - غازي مفلح، اتجاهات تعليم اللغة، مطبوعة محاضرات مقدمة للطلبة، جامعة أم القرى، قسم المناهج وطرائق التدريس، دس، ص 66.

والبرمجيات وأيضا الاتصالات وزيادة على ذلك كل ما هو مرتبط بنقل المعلومات والأنظمة التي تعمل على تسهيل الاتصال، كما يشمل مفهوم تكنولوجيا المعلومات إدارة البيانات باختلاف أشكالها سواء كانت نصوصا أو صورا أو أصواتا أو غيرها."[1] وقد انتشر استخدام المصطلح بعد ظهور شبكة الأنترنت التي أصبحت جزءا من حياة الناس في أغلب دول العالم.

هذا وقد أولت الدّول المتقدمة في الآونة الأخيرة أهميةً بالغةً لقطاع تكنولوجيا الإعلام والاتصال وتزايد الاعتماد عليها بعد تفشي جائحة كورونا سنة 2019 وخاصة بعد فرض القيود على الأفراد والمؤسسات كالإغلاق العام والتباعد الاجتماعي، فصارت هذه التكنولوجيا المحرك الأساس في كل القطاعات ففي قطاع التعليم مثلا لاحظنا انتشار ما يسمى بالتعليم عن بعد بالاعتماد على الأجهزة المتطورة كالحواسيب والأجهزة اللوحية وأجهزة عرض البيانات لغرض تقديم الدروس وعرض المعلومات على المتعلمين الذين يعتمدون الأسلوب نفسه لتحضير الدروس وإنجاز الأعمال والبحوث والتواصل مع المعلمين بفضل شبكات الأنترنت عالية التدفق.

وفي مجال التعليم ظهرت وسائل أتاحت للمتعلمين إمكانية التحصيل بطرق ناجعة فقد تمكن علماء اللسانيات الحاسوبية بمعية علماء التربية من تسخير الأنترنت لتصميم برامج إلكترونية تعليمية في كل الاختصاصات، أما في اختصاص تعليم اللغات فقد عملوا على تصميم مواقع إلكترونية أو تطبيقات الأنترنت لتقديم خدمات مساعدة على تعليم لغات متعددة، هذا وقد "تعدّدت المنصات أو المتاجر التي تعرض التطبيقات لتنزيلها وتثبيتها ثم تشغيلها على الجوالات المتوافقة ومنها منصة أبل App Store لنظام Ios ومنصة Play Store لنظام أندرويد، ومنصة مايكروسفت Microsoft Store وهي المنصة الأكثر شهرة حاليا ومنصة بلاك بيري BlackBerry AppWord، ومنصة أمازون Amazon Appstore، ومنصة نوكيا Nokia Store ، ومنصة سامسونج Samsung Apps"[2].

وتعمل هذه التطبيقات كلها وفق خطوات تبدأ بتسجيل الشخص الراغب في تعلم

(1) - دينا محمود، مفهوم تكنولوجيا الإعلام والاتصال ومراحل تطورها ومجالات استخدامها، https://www.almrsal.com/post/1128861، تاريخ زيارة الموقع 2022/03/8.

(2) - هشام بن صالح القاضي، اكتساب اللغة العربية لغة ثانية بواسطة تطبيقات الجوال دراسة تقييمية لتخطيط أفضل، مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، السعودية، 2019، ص 7-8.

اللغة الأجنبية، وتحديد اللغة المراد تعلمها، ثم يختار المتعلم المستوى الذي يناسب قدراته في اللغة الهدف بين (مبتدئ ومتوسط ومتقدم)، وبعد ذلك يتم إحالة الشخص إلى الدروس، حيث يشمل كل درس الأصوات والمفردات، ثم مقطع للحوار وتمرين كتابي وتقدم الدروس بطريقة الاستماع المتكرر، هذا وتمنح بعض المواقع خدمة المحادثة مع شخص يتحدث اللغة الأجنبية المراد تعلمها ذلك "إنّ المتعلم يمكن أن يتذكر 10% مما قرأه و20% مما سمعه و30% مما شاهده، و50% مما سمعه وشاهده في آن واحد و70% مما قاله، و90% مما عمله"[1] فممارسة واستعمال اللغة في مواقف تواصلية حقيقية مع المتكلم الأصلي (Native speaker) باللغة الهدف يزيد من تحفيز المتعلم ويزيد من رغبته في تعلمها.

كما تسعى "هذه الوسائط لتقديم محتوى موحّد الهدف في أشكال مختلفة وتشمل المفردات اللفظية (النصوص)، والصورة بأنواعها (الثابتة والمتحركة)، والصوت والمؤثرات الصوتية، والرسوم بأنواعها (الثابتة والمتحركة)، التي يمكن أن تسهم كلها أو بعضها في تقديم المعنى والشرح والتفسير في تصميم يعتمد على النظم الرقمية في العرض والتقديم والإتاحة بما يتّفق وحاجات المتلقين"[2] كما تعتمد أغلب التطبيقات على مهارة الاستماع أو الإنصات للغة كونها مرحلة من المراحل الأساسية في تعليم اللغات أما التّحدّث أو التعبير باللغة المراد تعلّمها مرحلة أخرى من مراحل تعلّمها ولكنها تالية للأولى لذا تقترح للمتعلم أساليب عديدة يمكن من خلالها تطوير مهارة الاستماع لديه ونذكر منها:

4-2-1-الاستماع والتّعرف على الأصوات: إنّ التّمييز بين بين أصوات ومخارج الحروف مطلبٌ أساسيٌ للنطق السليم والصحيح ولتحقيق هذا الغرض تتيح التطبيقات الإلكترونية فرصة الاستماع المتكرر للأصوات أو المقاطع الصوتية، كما تعمل بعض التطبيقات على تدريب المتعلم على التنغيم (intonation) والشدة (stress) فيسمح بالنطق بعبارة من خلال الميكروفون ويقوم الحاسوب أو الهاتف النقّال برسم مخطط بياني لها ومقارنتها بمخطط بياني مُخزن لتلك العبارة ليلاحظ المتعلم الفرق بين المخططين مما يدفعه لتكرار النطق إلى أن يصل للمستوى المطلوب.

4-2-2- الاستماع لكيفية نطق المفردات والجمل: يحتاج متعلم اللغة إلى تعلّم

(1) - مندور عبد السلام فتح الله، وسائل وتقنيات التعليم، ط2، مكتبة الرشيد، الرياض، 2007، ص 58.

(2) - محمد عبد الحميد، الاتصال والإعلام على شبكة الأنترنت، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص 98-99.

المفردات لتكوين ثروة لفظية فلا يمكن الانتقال إلى مستوى الجملة دون تعلّم واستعمال المفردات، لذا تعتمد المواقع الإلكترونية على فكرة بنك الكلمات أي إعداد وتخزين قائمة لانهائية من المفردات التي يُفترض أن يحتاجها المتعلم للتعبير عن أغراضه، ويتم تعليم المفردات بطريقة ممتعة حيث يتم تلوين الكلمات الجديدة المقصود تناولها في الدرس لأول مرة وبعد أن يتعلمها المتعلم ويتمكن من ترسيخها، تتلون في الدروس القادمة باللون الأسود وهكذا مع كل درس جديد.

4-2-3- الاستماع ومحاولة استيعاب النص: تعتبر مهارة الاستماع أو السماع أبو الملكات اللغوية –كما يقول ابن خلدون- ولتقويتها يقوم المتعلم بالاستماع إلى نص يلي ذلك أسئلة اختيار من متعدد أو ملء فراغ ليقوم المتعلم بالإجابة عنها، أو يتم عرض الأسئلة قبل الاستماع إلى النص وبعد أن يقرأ المتعلم الأسئلة يصغي إلى النص ثم يقوم بالإجابة عن الأسئلة.

4-2-4-المحادثة: تقدّم التطبيقات الإلكترونية فرصة التحدّث باللغة المراد تعلمها لتطوير مهارة المحادثة حيث يقوم المتعلم بالاستماع إلى حوارات تجري بين العديد من الأشخاص حول موضوعات متنوعة، من خلالها يتعلم المتعلم كيفية طرح الأسئلة على الآخرين في مواقف معينة، كما يتيح بعضها إمكانية دخول المتعلم في حوار مباشر مع البرنامج يتلقى منه السؤال ومن ثم يرد علية.

5- نماذج من بعض المو اقع والتطبيقات الإلكترونية الخاصة بتعليم وتعلّم اللغات الأجنبية:

أحدثت تكنولوجيا الإعلام والاتصال تطورا هائلا في كل المجالات وفي مجال تعليم اللغات تم تصميم العديد من المواقع الإلكترونية (web site) والتطبيقات (applications) التي يتزايد الطلب عليها من قبل المتعلمين لما فيها من المزايا تقول خبيرة التعليم الألمانية ميشائيلا مايرمن: "إنّ قدرة الشخص على التعلّم يمكن استعراضها على مصفوفة تنقسم إلى مجالات كما أنّ طريقة تحصيل اللغات تختلف بشكل كبير من شخص إلى آخر، حيث تعتمد عند البعض على المنطق وتعتمد عند البعض الآخر على الناحية الانفعالية"[1] ويتأثر المتعلم بطريقة التواصل التعليمي وتتعدد الوسائط المستخدمة في العملية التعليمية،

(1) - لؤي المدهون، استخدام الأنترنت والهواتف الذكية يسهل تعلم اللغات الأجنبية، https://www.dw.com/ar، تاريخ الاطلاع، 2022/04/20.

وأشهر هذه الوسائط تتمثل في المواقع الإلكترونية وهي كثيرة بعضها مختص بتعليم لغة واحدة وبعضها الآخر مختص بتعليم لغات عديدة ونذكر منها:

1-5-موقع ديولنجو(duolingo):

يتميز موقع ديولينجو (**duolingo**) بكثرة عدد المتعلمين المسجلين فيه وتعد اللغة الإنجليزية أكثر اللغات استقطابا لجمهور المتعلمين إذ بلغ عدد المسجلين الراغبين في تعلم اللغة الإنجليزية " 11.4 مليون دارس، وتليها اللغة الفرنسية ب 1.96 مليون دارس، واللغة الألمانية 894 ألف دارس، واللغة السويدية 188 ألف دارس"[(1)] ومن العوامل التي أدّت إلى إقبال المتعلمين على تحميل تطبيق ديولينجو هو طريقة تصميم الدروس إذ تعتمد على الصور والألوان بالإضافة إلى تقديم التمارين النحوية وتمارين فهم المسموع، كما أن الطابع المجاني الذي يتسم به شجّع المتعلمين على تنزيله على الهواتف الذكية والمواظبة على استعماله بفضل خدمة التنبيه التي يتوفر عليها.

هذا ويتميز تطبيق ديولينجو بسهولة الاستخدام بحيث يتدرج المتعلم في المستويات المتاحة فينتقل من المبتدئ والمتوسط لبلوغ المستوى الجيد كما يقدّم الموقع دورات لتعليم عدة لغات منها اللغة الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، البرتغالية، الإيطالية، العربية بالإضافة للعديد من اللغات الأخرى.

2-5- **موقع بيسو (busuu):** يعتبر الموقع الالكتروني بيسو (busuu) من أكبر المواقع استقطابا للأشخاص الذين يبحثون عن السّبل الحديثة في تعلّم اللغات يقدّم الموقع إمكانية تعلم "ثلاثة عشر لغة وهي: الإنجليزية، الفرنسية، الإسبانية، الألمانية، الإيطالية، البرتغالية، اليابانية، الصينية، الكورية، الروسية، التركية، الإيرلندية، البولونية"[(2)]. ويضم عددا كبيرا من الناطقين الذين يتيحون فرصة التّحدث معهم عبر خدمة الدّردشة وهذا ما يجعل عملية التعلّم عملية حيوية وأكثر إنتاجية، هذا ويضع الموقع تدريبات لغوية في المهارات اللغوية الأربعة القراءة، الكتابة، الاستماع، المحادثة، كما يقدم الموقع خيارات كثيرة لطرق تعلّم اللغة المراد تعلمها وأبرزها المشاركة في حوارات وتبادل نصائح عن النطق والقواعد اللغوية

(1)- https://ar.duolingo.com/register، تاريخ زيارة الموقع: 2023/04/20.

(2) - https://www.busuu.com/fr، Parle une nouvelle langue en 10 minutes par jour، consulté 2023/04/25.

وتلقي الدعم من طرف الناطقين الأصليين باللغة الهدف.

3-5-موقع لينغ ك (Lingq): يتيح الموقع تعليم عدة لغات وبعضا من اللّهجات[1] وما على المشترك سوى تحديد اللغة أو اللهجة المراد تعلّمها لينتقل بعد ذلك لاختيار المستوى الذي يناسبه للانطلاق في أخذ الدروس والتدريبات اللغوية المختلفة، وتقوم فكرة هذا الموقع على التعلّم عبر الاستماع المتكرر كما يتيح التطبيق إمكانية تحميل الدروس على الهواتف الذكية بصيغة (mp3) وبهذه الطريقة يتمكن المتعلم من استعمال التطبيق دون الحاجة لشبكة الأنترنت.

يتبين لنا من خلال هذه النماذج أن المواقع والتطبيقات الإلكترونية التي تتيح تعلّم اللغات الأجنبية عديدة جدا بعضها مجاني وبعضها الآخر يتطلب مقابلا محدّدا نظير كل مستوى، أما خصائصها فهي كثيرة أهمها استعمال الصور والرسومات، التدريب على النطق الصحيح للأصوات، التركيز على الجانب التواصلي، التحديث المستمر، تنبيه المتعلم لتوقيت بدء الدروس والمحادثات، وغيرها من الخصائص التي ساعدت كثيرا من المتعلمين في تحسين كفاياتهم اللغوية في لغات عدة.

وفي الختام يمكن القول:

-ركّزت الطرائق القديمة في مسألة تعليم اللغات على الجانب المكتوب مهملة بذلك الجانب المنطوق أو ما يسمى بمهارة المحادثة ونتيجة ذلك تكوين متعلم قادر على استعمال اللغة المراد تعلمها استعمالا جيدا في الجانب المكتوب مع قصور في الجانب المنطوق أو التواصلي وهذه إحدى النّقاط السّلبية للمنهج التقليدي.

-يستند تعليم اللّغات في الطرائق الحديثة على المهارات اللغوية الأربعة (الاستماع، التحدث، القراءة، الكتابة) وهذا ما تحققه تطبيقات الهواتف الذكية التي أصبحت وسيلة وأسلوبا من أساليب التّعلم.

- تطوّرت وسائل تعليم وتعلّم اللغات الأجنبية في الآونة الأخيرة كما أصبحت متاحة أكثر مقارنة بالسّنوات الماضية أي قبل ظهور تكنولوجيا الإعلام والاتصال وخاصة مع ظهور الهواتف الذكية التي ساعدت كثيرا في تحسين عملية التعليم والتعلم عامة وتعليم اللغات خاصة.

-مهما اختلفت الطرائق فإنه كلّما تعلّم الشخص لغة أجنبية عاد عليه الأمر بفوائد كثيرة

(1) - https://www.lingq.com/fr, Apprendre les langues à partir de contenus que vous aimez, consulté le25/04/2023.

فقد أثبتت الدّراسات أن الأشخاص الذين يتقنون أكثر من لغة لهم القدرة أكثر من غيرهم على التركيز والتحليل كما يتميّزون بذاكرة أقوى مقارنة بمن يكتفون بتعلّم لغة واحدة.

المراجع العربية:

- خالد بن عبد العزيز الدامغ، السن الأنسب لتدريس اللغات الأجنبية في التعليم الحكومي، مجلة جامعة دمشق، المجلّد 27، العدد الأول والثاني.

- دينا محمود، مفهوم تكنولوجيا الإعلام والاتصال ومراحل تطورها ومجالات استخدامها، www.almrsal.com، https://www.almrsal.com/post/1128861، تاريخ زيارة الموقع 2022/03/8.

- رشدي طعيمة، تعليم العربية بين العلم والفن، دار الكر العربي، القاهرة، 2001.

- رشدي طعيمة، تعليم العربية لغير الناطقين بها، مناهجه وأساليبه، دط، منشورات الإسيسكو، الرباط، 1990.

- عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط1، دار الغد الجديد للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007.

- لؤي المدهون، استخدام الأنترنت والهواتف الذكية يسهل تعلم اللغات الأجنبية، https://www.dw.com/ar، تاريخ الاطلاع، 2022/04/20.

- محمد عبد الحميد، الاتصال والإعلام على شبكة الأنترنت، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008.

- مندور عبد السلام فتح الله، وسائل وتقنيات التعليم، ط2، مكتبة الرشيد، الرياض، 2007.

- نايف خرما، علي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلّمها، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.

- هشام بن صالح القاضي، اكتساب اللغة العربية لغة ثانية بواسطة تطبيقات الجوال دراسة تقييمية لتخطيط أفضل، مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، السعودية، 2019.

-عبد المجيد عيساني، نظريات التعلم وتطبيقاتها في علوم اللغة، ط1، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2012.

-غازي مفلح، اتجاهات تعليم اللغة، مطبوعة محاضرات مقدمة للطلبة، جامعة أم القرى، قسم المناهج وطرائق التدريس، دس.

-محمود كامل الناقة، تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، منشورات جامعة أم

القرى، السعودية.

-وليم مكاي وميجيل سيجوان، التعليم وثنائية اللغة، تر: إبراهيم بن حمد القعيد ومحمد عاطف مجاهد، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1994.

المراجع الأجنبية:

- Jean Pierre Cuq, Dictionnaire de Didactique de Français langue étrangère et seconde, CLE international, Paris, 2003.